ملف الفصل الأول: تعريف الأدب

المحاضرة الأولى: مدخل إلى الأدب [ما الأدب/ لماذا ندرسه/كيف أرخ له/ لمحة عن العصور الأدبية]

أولا: تعريف الأدب:

جاء في لسان العرب: الأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس، يسمى أدبًا لأنه يأدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح، وأصل الأدب الدعاء، يقال لما يُدعى إليه الناس مأدبه، والآدبُ هو الذي يدعو إلى الطعام[1].

يقول طرفة بن العبد: نحن في المشتات ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر[2]، (أي يختار أناسا دون آخرين)

والأدبة والمأدبة: كل طعام صنع لدعوة أو عرس، قال صخر الغي:

كان قلوب الطير في قعر عشها نوى القسب ملقى عند بعض المآدب.

وأما في صدر الإسلام فدلت الكلمة على أدب النفس وتهذيبها وحسن تربيتها وسلوكها، قال الرسول صلى الله عليه وسلم «أدبني ربي فأحسن تأديبي» [3]، لتدل الكلمة على الدعوة إلى المحامد والمكارم بعد دلالتها من قبل على الدعوة إلى الطعام. قال الزجاج: وهذا ما أدب الله تعالى به نبيه، وفلان قد استأدب بمعنى تأدب، ويقال للبعير إذا ذلل وريض: أديب مؤدب.

وتبقى الكلمة في العصر الأموي تدور في المعنى الخلقي التهذيبي وتضيف إليه معنى تعليميا جديدا فقد وجدت طائفة المعلمين أطلق عليهم "اسم المؤدبين" الذين يعلمون أبناء الخلفاء (الشعر وأخبار العرب وأنسابهم وأيامهم لتحمل معنى العلم والتعليم وقد كان يطلق على (تعلم العلوم الشرعية خاصة)، فتوسع المدلول، وفيهم نشأت لتسمية المشهورة" حرفة الأدب" أطلقها الخليل بن أحمد (ت 175هـ) فقال «حرفه الأدب آفة الأدباء» لأنهم كانوا يتكسبون بالتعليم.(*)

أما في العصر العباسي فاستخدمت بمعنى التهذيب والتعليم فسمى ابن المقفع رسالتيه بـ "الأدب الصغير" و"الأدب الكبير"، وهما في إصلاح المجتمع وتربيته وتعليمه وتهذيبه (الخاصة أول الأمر ثم العامة) وسمي أبو تمام بابا من كتابه ديوان الحماسة "باب الأدب"، وعقد البخاري كتابه الأدب ولابن المعتز ت 296هـ "كتاب الأدب".

ثم أطلقت الكلمة في القرنين 2 و 3 هـ وما بعدهما على معرفة أخبار العرب وأشعارهم، فوضعت مؤلفات عدها أصحابها كتب أدب مثل البيان والتبين للجاحظ (ت 255هـ) وفيه ألوان من الأخبار والأشعار والخطب والنوادر والبلاغة والنقد، ومثله كتاب الكامل في اللغة والأدب للمبرد (ت 285هـ) الذي اهتم فيه خاصة باللغة وقدم نماذج من الرسائل النثرية البديعية و فيه أول تحديد دقيق للأدب يقول في المقدمة: «هذا كتاب ألفناه يجمع ضروبا من الآداب ما بين كلام منثور وشعر مرصوف ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة» ومثله كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة (ت276هـ) والعقد الفريد لابن عبد ربه (ت328هـ) وزهر الآداب للحصري (ت453هـ) مما يعني أن كلمة أدب في العصر العباسي ارتبطت بالفنين الأدبيين النظم (الشعر) والنثر بفنونه المختلفة، ثم اتسعت لتشمل فنونا ومعارف وعلوم شتى يقول الحسن بن سهل (ت 236): «الآداب عشرة، فثلاثة شهر جانية (ضرب العود ولعب الشطرنج ولعب الصوالح) وثلاثة أنو شيروانية (الطب والهندسة والفروسية) وثلاثة عربية (الشعر والنسب وأيام الناس) وواحدة أربت عليهن (قطعات الحديث والسمر وما يتلقاه الناس بينهم في المجالس»[4]، ومثله توسع إخوان الصفا (ق 4هـ) في معنى كلمة أدب في رسائلهم لتشمل علوم اللغة والأدب والبيان والتاريخ والأخبار والحساب والكيمياء والمعاملات والتجارات.

لتشمل زمن ابن خلدون (ت808هـ) كل ألوان المعرفة وخاصة علوم اللغة والأدب والبلاغة تقول: «الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارهم والأخذ من كل علم بطرف»[5]، وقد ركز ابن خلدون على الأدب بفنيه الشعر والنثر والإجادة فيهما.

وقد دلت الكلمة عند جل علماء العصر العباسي ونقاده على السنن والقواعد التي يجب أن تراعى عند كل طبقة، ولم ينتصف ق 4هـ حتى زال لفظ الأدباء عن العلماء جملة وانفرد بمزيته الشعراء والكتاب في الشهرة المستفيضة، ودلت الكلمة أوائل العصر الحديث على كل ما يكتب في اللغة (علوم/فلسفة/أدب) بما في ذلك الأدب الخالص الذي يطمح إلى التميز والجمال، لتستقر على الإبداع الأدبي بفنونه (الشعر والنثر).

ما الأدب العربي: بدأ مفهوم الأدب واسعا في التراث العربي يقول ابن الأنباري (ت 577هـ): «إن علوم الأدب ثمانية: النحو واللغة والتصريف والعروض والقوافي وصنعة الشعر وأخبار العرب، وأنسابهم...وألحقنا بالعوم الثمانية علمين وضعنا هما وهما علم الجدل في النحو وعلم أصول النحو» وجعلها الزمخشري (538هـ) اثنتي عشر علما، الأصول وهي اللغة والصرف والاشتقاق والنحو والمعاني والبيان والبديع... والعروض والقوافي، والفروع وهي: الخط (الإملاء) وفرض الشعر والإنشاء والمحاضرات والتواريخ.

قال صاحب نفخ الطيب "المقري": «إن علم الأدب في الأندلس كان مقصورا على ما يحفظ من التاريخ والنظم والنثر ومستظرفات الحكايات، قال: وهو أنبل عندهم، ومن لا يكون فيه أدب من علمائهم فهو غفل مستثقل»[6].

وعموما فإن الأدب العربي على مر العصور استمر على كل ما أبدعته العقول العربية منذ العصر الجاهلي إلى يومنا هذا، ولا يخرج عن دائرة الشعر بكل الفنون الشعرية المعروفة (الشعر بكل أغراضه الشعرية)، النثر العربي القديم بكل فنونه"[7]، ففي الشعر نجد المديح والهجاء والرثاء والوصف والغزل... ونجد المعلقات وشعر الصعاليك وشعر الفتوح وشعر النقائص وشعر اللهو والخمر... والشعر السياسي ومدرسة البديع... والشعر الحديث بكل تشكيلاته والشعر المعاصر بكل أنواعه (عمودي/حر/تفعيلة) وقصيدة النثر ومع كل هذه التشكيلات يبقى الشعر وتبقى المقولة الشهيرة «لن تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين» وفي النثر نجد الخطابة والرسالة والمثل والخبر والحكمة والنصيحة والنادرة والمقامة والمناظرة والحكاية والقصة على لسان الحيوان والقصص الخرافي والشعبي، والفنون النثرية الحديثة والمعاصرة كالمقالة والقصة والأقصوصة والقصة القصيرة جدا والمسرحية بكل أنواعها والرواية.

ثالثا: لماذا ندرس الأدب العربي: درجت العرب على أن الشعر ديوان العرب ولا ديوان لهم غيره، قال ابن عباس: إذا قرأ تم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب فإن الشعر ديوان العرب»[8].

وقال ابن قتيبة: «الشعر معدن علم العرب وسفر حكمتها وديوان أخبارها ومستودع أيامها والسور المضروب على مآثرها والخندق المحجوز على مفاخرها، والشاهد العدل يوم النّفار والحجة القاطعة عند الخصام، ومن لم يقم عندهم على شرفه وما يدعه لسلفه من المناقب الكريمة والفعال الحميدة بيت منه، شذت مساعيه وإن كانت مشهورة، ودرست على مرور الأيام وإن كانت حساما، ومن قيدها بقوافي الشعر وأوثقها بأوزانه، وأشهرها بالبيت النادر والمثل السائر والمعنى اللطيف أخلدها على الدهر وأخلصها من الجحد ورفع عنها كيد العدو وغض عين الحسود»[9].

وقال محمد بن سلام الجمحي في طبقات فحول الشعراء: «كان الشعر في الجاهلية ديوان علمهم ومنتهى حُكمهم به يأخذون وإليه يصيرون»[10]، وقال أبو هلال العسكري: «الشعر ديوان العرب وخزانة حكمتها ومستنبط آدابها ومستودع علومها [11].

وقال ابن فارس: «الشعر ديوان العرب به حفظت الأنساب وعرفت المآثر وتعلمت اللغة ومعنى الديوان: الكتاب أو السجل، وفيه يقول ابن رشيق المسيلي: «أكبر علوم العرب وأوفر حظوظ الأدب وأحرى أن تقبل شهادته وتمتثل إرادته لقول الرسول صلى الله عليه وسلم إن من الشعر لحكما» إن هذا التخصيص للشعر وهذه الصفة "ديوان العرب" هي إحدى صفاته في مراحل من الحياة العربية قبل التدوين لسهولة حفظه قياسا إلى النثر، يقول أبو عمر بن لعلاء (ت 154هـ) «ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير»[12]، وقال عبد الصمد بن الفضل الرقاشي: «ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره، ولا ضاع من الموزون عشره[13]، مما يعني أنه بعد انتشار التدوين قام النثر بالمهمة نفسها أو الموازية والمعادلة للشعر، فكان النثر هو الآخر ديوان العرب وسجل أيامها ومعاملاتها وتفاصيل حياتها، بفنونه المختلفة، وقدم لنا الشطر الآخر من حياة العرب الغائب شعرا، مثل خطابة المصاهرات والصلح والوفادة.... ومثل الوصايا والعهود والعقود ومثل الرسائل الديوانية وغيرها، كل هذا يعني أن هذا الأدب بشقيه الشعر والنثر يحمل حياة الامة العربية في كل العصور، مما يجعل دراسته واجبا إلى جانب القيم الفنية والجمالية.

رابعا: كيف تم التأريخ للأدب العربي: بتتبعنا للتراث العربي القديم لم نجد مدونة شاملة تهتم بالتأريخ لمسار الأدب العربي من العصر الجاهلي إلى يومنا هذا، وإن وجدت مصادر متفرقة تتناول جوانب من هذا المسار الأدبي الطويل مثل كتب الطبقات مثلا: "طبقات فحول الشعراء" لابن سلام الجمحي وجمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي (شعر جاهلي ومخضرم وإسلامي قسمه إلى 7 **طبقات الأولى** شعراء المعلقات، و**الثانية** أصحاب المجمهرات عبيد بن الأبرص وعدي بن زيد وبشير بن أبي خازم وأمية بن الصلت وخداش بن زهير والنمر بن تولب، **الثالثة** أصحاب المنتقيات المسيب بن علس والمرقش الأصغر والمهلهل بن ربيعة والمتلمس وعروة بن الورد ودريد بن الصمة والمتنخل، و**الطبقة الرابعة** وهم أصحاب المذهبات حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة ومالك بن عجلان وقيس بن الخطيم وأحيحة بن الحلاج وأبو قيس بن الأسلت وعمرو بن امرئ القيس، **الطبقة الخامسة** أصحاب المراثي أبو ذؤيب الهذلي ومحمد بن كعب الغنوي وأعشى باهلة وعلقمة الحميري وأبوزيد الطائي ومتمم بن نويرة ومالك بن الريب التميمي، **الطبقة السادسة** أصحاب المشوبات وهم الشعراء المخضرمون نابغة بني جعدة وكعب بن زهير والقطامي والحطيئة والشماخ بن ضرار وعمرو بن الأحمر الباهلي وتميم بن مقبل، **والطبقة السابعة** وهم أصحاب الملحمات الفرزدق وجرير والأخطل وعبيد الراعي وذو الرمة والكميت والطرماح بن حكيم الطائي.

وكتب المعلقات التي جمعت روائع الشعر الجاهلي: المعلقات السبع للزوزني والمعلقات العشر للشنقيطي وللخطيب التبريزي.
أما التاريخ الشامل للأدب العربي فلعل أهم باحث حاول التأريخ للأدب العربي من العصر الجاهلي إلى الحديث هو المستشرق "كارل بروكلمان" في كتابه تاريخ الأدب العربي، وسار على نهجه بعض الكتاب العرب مثل جرجي زيدان في كتابه "تاريخ آداب اللغة العربية"، كلاهما تناولا الحياة الأدبية والفكرية عند العرب مع ترجمات جملة للعلماء والأدباء والفلاسفة والكتاب والشعراء مع تفوق بروكلمان وغنى مادته وإحصائه الدقيق للأعلام وذكر آثارهم المطبوعة والمخطوطة وما كتب عنهم قديما وحديثا، ومناهجهم ومكانتهم ونبذة عن كل علم وفن ومساره. وتلتهما مدونات كثيرة في التأريخ للأدب العربي وتقسيمه إلى عصور لتسهل على طالب العلم دراسته واستيعاب التحولات الطارئة على النص الأدبي عبر العصور نذكر منها على سبيل المثال:
-تاريخ الأدب العربي لـ عمر فروخ / -تاريخ الأدب العربي لـ شوقي ضيف./ -تاريخ آداب العرب-مصطفى صادق الرافعي.
-تاريخ الأدب العربي-أحمد حسن الزيات./ -تاريخ الأدب العربي-حنا الفاخوري./ -تاريخ الشعر العربي حتى القرن الثالث الهجري-نجيب محمد البهبيتي.
ولعل أحسن المصنفات هي التي تتجنب الموسوعية العامة وتركز على الأدب شعره ونثره والظروف المحيطة به (سياسية/اجتماعية/ دينية/اقتصادية)، وعلى الاتجاهات والمذاهب الأدبية وعلى الجوانب الفنية والجمالية التي هي أساس العملية الإبداعية في الأدب وعلى تطور الأدب العربي من عصر إلى آخر.
***العصور الأدبية:** قسم الدراسون والنقاد الأدب العربي إلى عصور لتسهيل دراستها وهي:
1-العصر الجاهلي (أو ما قبل الإسلام) وقد ذهب الجاحظ إلى تحديده على الأقل بـ 150 عاما قبل الإسلام أو 200 سنة على الأكثر.
2-العصر الإسلامي ويشمل صدر الإسلام والدولة الأموية (610 م حوالي 11 سنة قبل الهجرة إلى 132هـ.
3- العباسي (132هـ-656هـ/750م-1258) العصر العباسي الأول 132-334هـ/الثاني: 334هـ-656هـ)
الأدب في عصر المماليك 656هـ-923هـ.
4-الأدب الأندلسي من الفتح 96هـ-897هـ.
5-الأدب المغربي من الفتح: 51هـ-إلى الوجود العثماني في الجزائر حتى الاحتلال الفرنسي في كامل المغرب العربي.
160هـ-296هـ الدولة الرستمية في المغرب الأوسط
172هـ-375هـ الدولة الإدريسة في المغرب الأقصى
184هـ-296هـ الدولة الأغلبية المراحل بالظروف السياسية....
6-العصر العثماني943هـ-1341 بسقوط الخلافة العثمانية.
7-العصر الحديث بداية النهضة إلى الخمسينات.
8-العصر المعاصر من الخمسينات إلى اليوم.
ملاحظة: وقد تأثر الأدب في كل هذه المراحل بالظروف السياسية والاجتماعية والدينية.
المحاضرة الثانية: الأدب العربي القديم (بداية التدوين عند العرب/ التأسيس لعلوم اللغة والتفسير وأصول الدين والفلسفة الكلامية والكتابة النقدية والرواية).
أولا: بداية التدوين عند العرب:
مما يجب الإشارة إليه أن العرب عرفوا آلية أخرى لحفظ التراث قبل الكتابة وهي الحفظ في الصدور، وقد كان هناك رواة يحفظون أيام العرب وأمجادها وأشعارها وأخبارها وأنسابها ويتناقلونها، وقد دار شيء من ذلك في بعض مجالس التفاخر والتفاضل بالأحساب والأنساب برغم وجود من يتقنون الكتابة. ومن أشهر رواة الجاهلية وعلمائها ونسابيها عبيد بن شرية الجرهمي وغفل بن خنطلة وابن الكيس النمري....
ليعرف صدر الإسلام توجها آخر للرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن وضع لها أبوبكر أهم شرط وهو "الإسناد لصحيح" والاحتياط في نقل الأخبار وقبولها.... [14]، ولم يمض وقت حتى بدأت الأحزاب المتصارعة في وضع الأخبار كذبا، ثم ظهر القصاص وأهل الأخبار فوضعوا غرائب الأحاديث والأكاذيب لاستمالة الناس والتأثير فيهم، كما وضع الزنادقة أحاديث هي أقرب إلى الخرافات والأساطير لتشكيك الناس في دينهم، وقد

كان ابن عباس حبر الأمة عالما بالحديث الشريف وبالقضاء والفقه والشعر والعربية والتفسير والحساب والفرائض وأيام العرب والمغازي. (البداية والنهاية 301/8).

أما التدوين فإن أول ما بدأت العرب تدوينه هو الحديث النبوي الشريف، وأول من دعا إلى ذلك الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (99هـ-101هـ) الذي كتب إلى أبي بكر بن حزم نائبه في الإمرة والقضاء على المدينة «... انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء»، فهذا أول بدء جمع الحديث النبوي وتدوينه، بعد أن كانت الصدور أوثق من الكتب.

ثم أمر الخليفة (عمر بن عبد العزيز) محمد بن مسلم الزهري عالم الحجاز والشام ومقرر شروط الرواية بتدوين الحديث تدوينا يراعي شروط الرواية الصحيحة، ومن أوائل من جمعوا في الحديث الربيع بن صبيح وسعيد بن أبي عروبة.... كانوا يصنفون كل باب على حدة إلى الطبقة الثالثة، وصنف الإمام مالك بن أنس (94-179هـ) كتاب الموطأ بالمدينة، وصنف أيضا عبد الملك بن جريح بمكة وعبد الرحمن الأوزاعي بالشام وسفيان الثوري بالكوفة وحماد بن سلمة بن دينار بالبصرة، وقد نسبوا لمالك تدوين الحديث لأنه أودعه أصول الأحكام من الصحيح ورتبه على أبواب الفقه واعتمد فيه على شروط الرواية... لينشأ علم الجرح والتعديل.

-أما في الأدب فاستمرت رواية الشعر والأخبار والأنساب والأيام وربما توسعت في صدر الإسلام لتمكين الشعراء المسلمين من الرد على هجاء المشركين، وكان أحفظ الصحابة للأنساب أبو بكر الصديق وأرواهم للشعر عمر بن الخطاب، واستمر الناس يروون الأدب ولا يدونونه، ويقال إن أول ما دون صحيفة أبي الأسود الدؤلي (99 أو 100هـ) المعروفة بتعليقة أبي الأسود[15].

وفي زمن معاوية وفد عليه عبيد بن شربة الجرهمي النسابة الإخباري من صنعاء اليمن فسأله على ملوك العرب والعجم.... فلما أجابه أمر أن يدون مروته وينسب إليه فكان هذا أول ما دون في الأخبار.

وذكر ابن النديم في الفهرست أن أول من ألف في بعض التراجم أبو مخنف (من صحاب على) وكان صاحب أخبار وأنساب.

وأول من ألف في السير عروة بن الزبير (ت 93هـ) وألف وهب بن منبه في الأخبار والقصص (ت 116هـ) كتابا في الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم، فكان أول من دون هذه الموضوعات التاريخية، ووضع بعد ذلك محمد بن مسلم الزهري (ت 124هـ) كتابا في المغازي وهو أول من دونها، وبعده محمد بن إسحاق (ت هـ151) بكتابه في السيرة النبوية ومزجه بالخرافات على نحو ما فعل ابن منبه وعد ابن اسحاق أول من ألف في السيرة وضع كتابه للخليفة المنصور، ثم ألف ابن النطاح أو اخرق 2 هـ في الدولة الإسلامية أخبارها ثم وضع الخليل بن أحمد (ت هـ170) كتاب العين في اللغة، وألف ابن الكلبي (ت 204هـ) كتاب أنساب العرب وهو أول من كتب فيها وصنف أبو عبيدة الراوية (ت211) في أيام العرب، وهو أول من صنف فيها، كل هذه أوليات التدوين في الأدب وكلها كتب لا إسناد فيها، ويقال إن أول من كتب من العرب هو الحافظ الزهري الذي كان يكتب كل شيء.

أوليات الاسناد في الأدب العربي القديم: إن أول إسناد في الأدب العربي كان علميا وهو إسناد نصر بن عاصم الليثي إلى أبي الأسود الدؤلي ثم كان الإسناد في روايات المغازي. ولما خافوا على لسان العرب من الفساد نشأت طبقة من الأعلام الذين ينسب إليهم االإسناد في الأدب أمثال حماد الرواية/أبو عمر وبن العلاء وصارت الرواية علمية محضة، وقد ارتحل جل الرواة إلى البوادي لجمع مروياتهم: يونس بن حبيب /خلف الأحمر/ الأصمعي/ المفضل الضبي/ أبو عبيدة، تلتهم طبقة أخرى أخذت عنهم رواية الأدب لتفسير ما يشتبه من غريب القرآن والحديث لأن اللغة العربية هي وسيلة العلوم الشرعية.

هذا وقد فشا في الشعر والأخبار الكذب والتوليد واختراع الأشعار وكان علم العرب مقصورا على النسب والخبر والشعر، وأكثر من يقوم عليها النسابون والخطباء وبعض رواة الحديث[16].

-رواية الشعر الجاهلي وتدوينه: [17]

الرواية: عرف عرب الجاهلية الكتابة وذكروها في شعرهم، ولكن لم يصلنا مابدل على كتابتهم الشعر واتخاذها وسيلة لحفظه (لصعوبة وسائلها وندرتها)، وقد حث القرآن الكريم على الكتابة وأقسم بأدواتها (ن والقلم وما يسطرون) ولكن عرب صدر الإسلام استخدموها في أمور سياسية (تسير شؤون الدولة) ودينية (كتابة الوحي خاصة) وقد راجت أساطير تقول بكتابة الشعر الجاهلي، روي عن حماد الراوية أن النعمان بن المنذر (ت 602م) أمر فنسحت له أشعار العرب فدفنها في قصره واستخرجها المختار بن أبي عبيد عام 67 هـ وهي رواية مكذوبة، فحتى القرآن وإن كان للوحي كتبة لم يجمع في مصحف واحد إلا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وتشاور بين الصديق والصحابة[18].

-فرواية الشعر في العصر الجاهلي كانت وسيلة حفظه الأولى وانتشاره وذيوعه، احترفها الشعراء أنفسهم ومن يريد الشاعرية يلزم شاعرا يروي عنه، فعن أوس بن حجر التميمي روى زهير بن أبي سلمى الذي كان له روايتان هما ابنه كعب والحطيئة، وروى عن الحطيئة هدبة بن خشرم العذري وعن هدبة روى جميل بثينة وعن جميل روى كثير"[19].

وغالبا ما تكون القرابة بين الشاعر والراوية (زهير وابنه كعب/المسيب بن علس وابن أخته الأعشى/ المرقش الأصفر وابن أخيه طرفة بن العبد/المتلمس وابن أخته طرفة.... وكان أبو بكر نسابة راويا للشعر الجاهلي، بل ويستشهد به في خطبه مثل خطبة السقيفة.

فقد كانت رواية الشعر مستحبة.... كما كانت الحاجة ماسة إلى معرفة الأنساب وتدوينها، وأشهر رواتها عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن توفل ودغفل والنخار بن أوس العجلي، وبالصراع القائم بين علي ومعاوية ومن بعدهما، واشتعال العصبيات القبلية صار الشعر وقود هذه العصبيات، فأخذت القبائل تعنى برواية شعرها الذي يصور مناقبها وعيوب خصومها وراح الأبناء يتناقلونه طوال القرنين (1 و2هـ) وعنهم أخذ العلماء الذين عنوا برويته، ليصبح الشعر في صراع علي ومعاوية وسيلة حرب ووقودا للعصبيات[20].

وقد روى القصاص في المسجد (في صدر الإسلام) من الشعر الجاهلي في ثنايا مواعظهم ونشأت جماعة مثل أبان بن عثمان بن عفان وعروة بن الزبير تعني بغزوات الرسول وما قيل فيها من شعر واخرى تعنى بأخبار العرب وشعرهم، ومال جيل الشعراء الإسلاميين إلى رواية الشعر القديم مثل الكميت والطرماح وذي الرمة والفرزدق وجرير ورؤبة فعنهم أخذ العلماء والرواة الكثير يقول الفرزدق: وهب القصائد لي النوابغ إذ مضوا وأبو يزيد وذي القروح وجرول

والفحل علقمة الذي كانت له حلل الملوك كلامه لا ينحل
وأخو بني قيس وهن قتلنه ومهلهل الشعراء ذاك الأول
والأعشيان كلاهما ومرقش وأخو قضاعة قوله يتمثل
وأخو بني أسد عبيد إذ مضى وأبو دؤاد قوله يتنخل
وابن أبي سلمى زهير وابنه وابن الفريعة حين جد المقول
والجعفري وكان بشر قبله لي من قصائده الكتاب المجمل
ولقد ورثت لآل أوس منطقا كالسم خالط جانبيه الحنظل
والحارثي أخو الحماس ورثته صدعا كما صدع الصفاة المعول.

كما عرف العصر الإسلامي رواة لم يكونوا شعراء اهتموا برواية الشعر ونشره في الناس كما فعلوا مع جرير والفرزدق[21]، ومنهم من تخصص برواية الشعر الجاهلي مثل يونس بن متى (رواية الأعشى) يقول ابن سلام: «لما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر، فلم يؤلوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك وذهب عليهم منه كثير»[22].

ومع أواخر العصر الأموي ومطلع العصر العباسي نشأت طبقة الرواة المحترفين الذين صارت رواية الشعر الجاهلي حرفتهم إضافة إلى الأخبار الجاهلية وأيامها، اتخذوا حلقات في المسجد الجامع يعلمون الطلاب ويشرحون غريب الألفاظ وما تعلق بالنص وظروفه التاريخية، وأشهرهم أبو عمر بن العلاء وحماد وخلف الأحمر ومحمد بن السائب الكلبي والمفضل الضبي فكانوا يجمعون مروياتهم من القبائل والأعراب. ومن أهم أسباب هذا الجمع تفسير غريب ألفاظ القرآن، ومن أوائل من شرح القرآن بالشعر ابن عباس.

كما ظهرت جماعة حاولت وضع قواعد اللغة العربية، وانفصلت عن رواة الشعر وجل هؤلاء الرواة يغفلون السند الذي نقلوا عنه.

وفي العصر العباسي استوت مدرستان: البصرة: تتحفظ وتدقق في الرواية، وقد ندد رواتها بالكوفيين، والكوفة: لا تتشدد في الرواية فعرفت بالانتحال حتى في الحديث وبغزارة المرويات. وكانت رواية البصرة أوثق وعلى رأسهم أبو عمرو بن العلاء وكان أمينا، بينما كان رأس رواة الكوفة حماد. وكان أبو عمرو بن العلاء من مؤسسي مدرسة البصرة وأحد القراء السبع (70-154هـ) ومن أعلم الناس بالغريب ملأت مروياته بيتا إلى قريب من السقف، وكان حماد يفاخر أنه ينشد على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة عدا المقطعات من شعر الجاهلية، أنشد مرة 2500 قصيدة جاهلية فأمر له الوليد بـ 100 الف درهم[23]، يقول الأصمعي في عدم أمانته «جالسته فلما أجد عنده ثلاثمائة حرف ولم أرض روايته»[24]، زاد مرة في مجلس المهدي والمفضل الضبي حاضرا ثلاثة أبيات في مطلع قصيدة زهير فأنكرها عليه المفضل فالزمه الخليفة بكل يمين فاعترف، فأمر المهدي أن ينادى

بإبطال روايته وصحة رواية المفضل. ومن تلاميذه ابن كناسة (ت 207هـ) وخلف الأحمر، ومثلهم برزخ العروضي وجناد...
وعاصره عالمان هما أبو زيد (ت 214هـ) ويعني بجمع اللهجات واللغات الشاذة/ وأبو عبيدة معمر بن المثنى (110هـ-211هـ) شعوبي الذي اهتم بالأنساب والايام وشرح نقائض جرير والفرزدق.
ومن رواة التاريخ نجد الهيثم بن عدي (ت 206هـ) ومحمد بن السائب الكلبي (ت 146هـ).
كما نجد أبو عمرو الشيباني (ت 213هـ) وابن الأعرابي (231هـ) ومحمد بن حبيب ( ) وابن السكيت (244هـ) وثعلب المتوفي 219 هـ وانتهت الرواية في البصرة إلى أنى سعيد الحسن بن الحسين السكري (275 هـ) وإليه يرجع الفضل في جمع الدواوين الجاهلين من المدرستين.
ب-التدوين: قال الجاحظ: «كل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام» [25]، وبعد استقرار الدولة وتدوين المغازي والأحاديث النبوية وبعض الاخبار التاريخية دون زياد بن أبية كتابا في المثالب ودون عروة غزوات النبي ودون معاوية أخبار بن شرية الجرهمي. وظهرت مع أوائل القرن 2هـ مدونات تاريخية هيأت لتدوين الشعر، ففي عهد الوليد بن يزيد كان أبو عمرو بن العلاء بدون الشعر والأخبار.
والمعروف أن هؤلاء الرواة الأوائل لم يدونوا مروياتهم بأنفسهم فرواة التاريخ مثل محمد بن السائب دون مادته ابنه هشام والخليل بن أحمد الفراهيدي دون تلميذه سيبويه مادته في كتابه المشهور. ويرجع الفضل في تدوين الشعر الجاهلي تدوينا منهجيا دقيقا إلى الأصمعي الذي جمع بين السماع عن الرواة والارتحال إلى الأعراب، وكذلك أبو عمرو بن العلاء وعنهم أخذ طلابهم ونذكر منهم هشام بن محمد الكلبي الذي ترك نحو 140 كتابا، ومثله المدائني والهيثم بن عدي وقد ترك50 مصنفا لم يصلنا جلها[26].
قال ابن سلام في اسحاق: لوكان الشعر مثل ما وضع ابن اسحاق ومثل ما رواه الصحفيون ما كانت اليه حاجة ولا فيه دليل على علم، وقد رد ابن هشام الكثير منها وعليه فأصدق رواة الشعر أبو عمرو بن العلاء والأصمعي والمفضل الضبي[27].
وقد خلف من بعدهم من أتم تدوين الشعر الجاهلي وأشهرهم أبو عمرو الشيباني وابن الأعرابي (في الكوفة)، وغالبا ما اختلط برواية الشعر الكثير من الأخبار التاريخة، مثل ما جاء في شرح النقائض لأبي عبيدة وديوان هذيل برواية السكري (ت 275هـ).
-وبدأ تأليف الكتب كالأمالي أبو علي القالي مثلا والاخبار والتراجم وكذا الكتب الجامعة مثل حماسية أبي تمام والبيان والتبين للجاحظ والكامل للمبرد وعيون الأخبار لابن قتية وله أيضا "الشعر والشعراء"[28].
-أهم مصادر الشعر الجاهلي: توزعت على المنتخبات الشعرية العامة والدواوين وأهمها:
أ-المنتخبات الشعرية وأهمها:
1/المعلقات[29]: التي سميت كذلك لنفاستها من كلمة العلق بمعنى النفيس، أول من رواها مجموعة في ديوان خاص بها حماد الراوية وهي عنده سبع (امرؤ القيس/زهير/ طرفة/ لبيد/ عمرو بن كلثوم/ الحارث بن حلزة/عنترة) وهي عند صاحب الجمهرة سبع أيضا ولكنه أسقط من رواية حماد الحارث بن حلزة وعنترة ومكانها وضع الاعشى والنابغة، ليجعلها الخطيب التبريزي عشرا جامعا بين الروايتين ومضيفا عبيد بن الأبرص وقد شرح المعلقات كثيرون منها شرح الزوزني (ت486هـ) على رواية حماد وشرح التبريزي (ت 502هـ).
2-وثاني المنتخبات هي المفضليات: للمفضل الضبي وقد شرحها ابن الانباري وهي 126 قصيدة +4 رفعها ابن الأنباري إلى ابن الأعرابي تلميذ المفضل وربيبه، ذهب عبد السلام هارون ومحمود شاكر (ناشراها) إلى أنها برأي الأخفش كانت ثمانون ألقاها المفضل على المهدي وزاد فيها الأصمعي أربعين موزعة على 67 شاعرا منهم 46 جاهليا، أولهم المرقش الأكبر والمرقش الأصغر والحارث بن حلزة وعلقمة بن عبدة والشنفري وبشر بن أبي خازم وتأبط شرا وعوف بن عطية وأبو قيس بن الأسلت الأنصاري والمسيب وامرأة من بني حنيفة ومجهول من اليهود والمسيحيان عبد المسيح بن عسلة الشيباني وجابر بن جني التغلبي وتمثل هذه المجموعة الحياة الجاهلية بدقة اجتماعيا وجغرافيا وسياسيا.
3-وثالث المجاميع الأصمعيات: نسبة إلى الأصمعي (نشرها آلورد عام 1902 وأعاد نشرها عبد السلام هارون ومحمود شاكر عن نسخة للشنقيطي بـ 29 قصيدة لـ 71 شاعرا، 40 جاهليا (امرؤ القيس/الحارث بن عباد/ دريد بن الصمة/ أبو دؤاد الإيادي/ ذو الإصبع العدواني/سلامة بن جندل/طرفة/عروة بن الورد/ قيس بن الخطيم واليهوديان: السموأل وشعية بن الغرض... وهي قليلة الغريب قياسا إلى المفضليات فلم يتعلق بها الشراح، كما أن الأصمعي لم يرو كثيرا من القصائد كاملة واكتفى بمختارات منها.
4-والمجموعة الرابعة هي جمهرة أشعار العرب: لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، (من أعلام ق 3هـ وأوائل ق 4 هـ ذكره ابن رشيق (463هـ) في العمدة والسيوطي في المزهر... جاء في الجمهرة 46 قصيدة موزعة إلى سبعة أقسام في كل قسم سبع قصائد والقسم الأول الخاص بـ

المعلقات السبع مسقطا معلقتي الحارث وعنترة ومكانها وضع معلقتي الاعشى والنابغة، ويليه قسم المجمهرات وهي لـ عبيد بن الأبرص وعدي بن زيد وبشر بن أبي حازم وأمية بن أبي الصلت وخداش بن زهير والنمر بن تولب وعنترة، ونلجه المنتقيات، ثم المذهبات وجميعها لشعراء من الأنصار جاهليين ومخضرمين، ثم عيون المراثي، ثم المشوبات وهي المخضرمين شابهم الكفر والإسلام، ثم الملحمات كلها لشعراء إسلاميين، غنية بالقصائد الطويلة ولكن غير موقفة الرواية. ومثلها في ضعف سندها مختارات ابن الشجري (ت 542هـ) (شعر جاهلي واسلامي) من 3 أقسام...

-من هذه المختارات دواوين الحماسة وهي ذات قيمة أدبية أكثر منها تاريخية، أشهرها حماسة أبي تمام من شروحه المطبوعة شرح المرزوقي وشرح التبريزي (وقد أصلح أبو تمام فيما رواه من شعر.... وزعها على 10 أبواب، وحماسة ابن الشجري أغلبها من الشعر الجاهلي.

5/ المختارات: مثل الحمهرة في ضعف سندها، منها مختارات ابن الشجري ت541هـ وفيها شعر جاهلي وإسلامي. من هذه المختارات دواوين الحماسة وأشهرها حماسة أبي تمام، ومن شروحه شرح المرزوقي وشرح التبريزي.

ب-الدواوين الشعرية المفردة: منها الدواوين الستة لكل من امرؤ القيس /النابغة/ زهير /طرفة /عنترة /علقمة، نشرها ألوارد ولم يكتف فيها برواية الأصمعي التي احتفظ بها شرح الشنتمري بل أضاف زيادات جلها منحول.

ج-شرح النقائص لأبي عبيدة: وهي في شرح نقائض جرير والفرزدق.

د-طبقات الشعراء لابن سلام: وفيه شعراء الجاهلية والإسلام رتبهم عشر طبقات من شعراء الجاهلية وعشر طبقات أخرى من شعراء الإسلام

هـ-كتاب الاغاني: فيه ترجمات وافية للشعراء من ق 6 م إلى 9 م وأخبار الشعراء وأشعارهم بأسانيدها.

و- **خزانة الأدب** للبغدادي (ت 1093: من الكتب المتأخرة التي احتفظت ببعض ما فقد من الروايات والمصنفات وهو شرح شواهد الرضي شارح كتاب الكافية لابن الحاجب.

عناية العلماء والحكام بالأدب[30]: اهتم الخلفاء والحكام العرب في العهد الأموي وما بعده بالمعارف والعلوم وشجعوا عليها ووجهوا العلماء إلى بعضها وأجزلوا لهم العطاء في كل ذلك، فكانوا بعد أمور الملك يروحون عن الأنفس بالأحاديث وسماع الشعر وأخبار الماضين، وكان معاوية أول من اهتم بهذه المجالس وتبعه هشام بن عبد الملك وكذلك خلفاء بني العباس وأشهرهم أبو جعفر المنصور وهارون الرشيد، منها المجالس العامة التي يحضرها كثير من الأدباء والشعراء والإخباريين، ومنها الخاصة التي يستدعي فيها الخليفة من يرتاح إلى سماع أخباره وأحاديثه أو يسأله في أمر أو خبر ما... وكانوا يكرمونهم ويجزلون لهم العطاء ويقربونهم، خاصة منهم هارون الرشيد ثم ابنه المأمون، وقد كانت لهم آراؤهم ومشاركتهم في هذه المجالس، مثل انتصار الأمين للكسائي وانتصار المأمون لسيبويه وتأييد الرشيد للكسائي [31]، وكانوا يتخيرون المعلمين لأبنائهم، ففي هذه المجالس تشكلت جل علوم العربية (لغة ونقدا وشعرا ونثرا وفلسفة وتفسيرا وبلاغة ومنطقا وفلسفة) وتأسست جل "المدارس الفكرية العربية، وكان بعض منهم شعراء (يزيد بن معاوية/ الوليد بن يزيد) وقد يستدعي الواحد منهم عالما أو راوية من أجل سماع بيت من الشعر كما فعل الوليد بن يزيد بدعوته للراوية حماد من العراق إلى الشام لينشد قصيدة، وقد أجاز المهدي المفضل الضبي بعشرة آلاف دينار على قصيدة طلبها فلم يجدها إلا عنده... ومثل طلب المنصور من ينشده (بعد وفاة ابنه الأكبر) أمن المنون وريبها تتوجع، وعد أمر عدم حفظ أهل البيت القريبين من هذه القصيدة عيبا وتقصيرا وبعد جهد وجدوا من ينشدها وطلب إليه تكرار البيت، و"الدهر ليس بمعتب من يجزع" مائة مرة وفي كنف الخلفاء نتجت مؤلفات علمية دقيقة بتوجيه أو تكليف منهم. ومنهم من اكتفى بالملاحظات البسيطة ومنهم من فضل التحول إلى الحياة الاجتماعية اليومية، وقد مر بنا توجيههم العلماء إلى وضع مصنفات في مجالات شتى، مثل دعوة الخليفة ابن اسحاق إلى وضع السيرة النبوية، ومثل دعوة معاوية إلى سرد تاريخ اليمين والأمر بتدوين مايسرد... العلوم الدينية وعلى رأسها الحديث والتفسير، فقد مهدت مجالس الخلفاء والأمراء لميلاد كثير من علوم العربية ومعارفها (علوم اللغة/النقد/ التاريخ/السير/ والشعراء يتبعهم الغاوون). فأول خليفة اهتم بنقد الشعر والحكم عليه عمر بن الخطاب[32] فدعا مثلا الشاعر عبد الرحمن بن الحكم إلى سلوك خلقي في مدحه وأن يسوي بين نفسه وممدوحه... ومن الملاحظات المقدمة للشاعر في المديح التركيز على الفضائل النفسية في ضوء التوجيه القرآني «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا... من ذلك مثلا موقف الخليفة الأمين من مقدمات أبي نواس الخمرية:

دعاني إلى وصف الطلول مسلط تضيف ذراعي أن أجوز له أمرا

فسمعا أمير المؤمنين وطاعة وإن كنت قد جشمتني مركبا وعرا

ومن المجالس المذكورة في صدر الإسلام مجلس السيدة عائشة بنت طلحة وعقيلة بنت عقيل وسكينة بنت الحسين...

وبعد انتشار المنطق والفلسفة شاعت المناظرات في مجالس الخلفاء (2ع العباسي)، فقامت مناظرات في الفقه والأدب والشعر وعلم الكلام[33].